

مروي القديمة - المدينة الملكية وصورها وضواحيها الشمالية التعريف، الصيانة والترميم والتأهيل للسياحة الثقافية

قسم الآثار - جامعة الخرطوم

أ.د. علي عثمان محمد صالح

مستخلص:

يهدف هذا البحث إلى كشف وشرح القطاعات المختلفة للمدينة الملكية ومحيطها ضمن المشهد الأكبر لقلب الأراضي المروية الممتد من المحمية شمالاً والحصا جنوباً، بما في ذلك المنطقة الجبلية المرتفعة الواقعة بين المحمية وجبل أم علي، حيث تقترب من الأراضي النيلية الخصبة ثم تتفرع باتجاه الشرق ومن ثم تميل نحو الجنوب لتقترب من النيل مرة أخرى عند منطقة ديم القراي-الحصا. سلطت الورقة الضوء على الروابط والعلاقات المتبادلة بين القطاعات المختلفة للمدينة الملكية، وتخطيطها ووظائفها من أجل تحديد نموذج عملي للمدينة الملكية وضواحيها، من أجل تقديم عرض أفضل للمشهد الحالي و فرص أفضل لبحوث المستقبل. كما ناقش البحث الخطط المستقبلية لترميم الموقع والمحافظة عليه والسياحة المستقبلية.

Abstract:

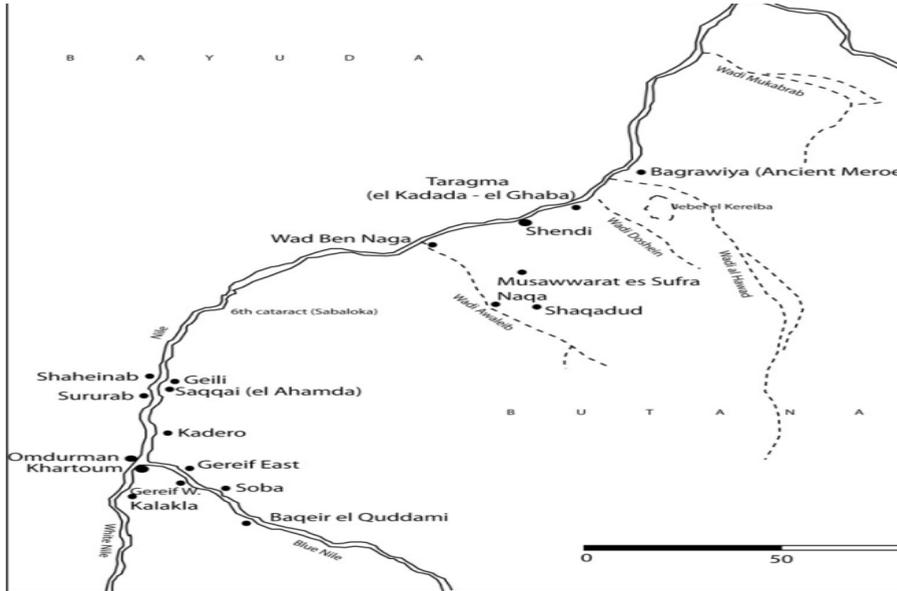
This research aims to expose and explain the different sectors of the Royal City and its environs within the larger landscape of the heartland of Meroe extending from Al-Mahmia in the North and Al-Hassa in the South, including the mountainous Plaetu between Al-Mahmia and Jebel Um Ali which closes to the Nile fertile lands and then branches

off towards the east and then leans toward the south to descend toward the Nile again at Deam Al grai- Al-Hassa. The paper shed light on the connections and inter-relationships of the deferent Sectors of the Royal City, their layout, and functions in order to outline a workable Model of the Royal City and its Environs, for a better presentation of a more existing scene and better chances for new research. The research also discusses the future plans of site's restoration, preservation and tourism.

1- التعريف:

1-1: الموقع الجغرافي وأجزاء المدينة التاريخية وأطروحة لنشأة المملكة:

تقع مدينة مروي التاريخية في ولاية نهر النيل، على الضفة الشرقية، على بعد 200 كلم شمال مدينة الخرطوم، و34 كلم شمال شرق مدينة شندي، بإحداثيات 16°: 54 شمال و33°: 44 شرق. (الخريطة 1).



خريطة رقم (1) الموقع الجغرافي لمدينة مروي القديمة

يتميز إقليمها المحصور بين النيل ونهر عطبرة بالأراضي الخصبة المسطحة التي تكون أرض البطانة، وبالأودية الموسمية الكبيرة والصغيرة التي تصب في النيل على طول المسافة بينها وبين شلال السبلوقة (الشلال السادس) وأهمها وادي العواتيب الأبعد منها جنوباً ووادي الهواد الذي يصب على بعد كيلومترات جنوبها بمجره الرئيسي ومتفرعات منه عديدة.



خريطة رقم (2) أهم الأودية في إقليم مروى

وقد سمى الكتاب الأوربيون الكلاسيكيون إقليم مروى « بجزيرة مروى » أما بحسبانه محصوراً بين النيل ونهر عطبرة اللذان يقتزمان في شمالها بين مدينتي الدامر وعطبرة، أو ربما لأن المدينة التاريخية كانت تقع على تل تراي عالي بأرض مائية منخفضة.

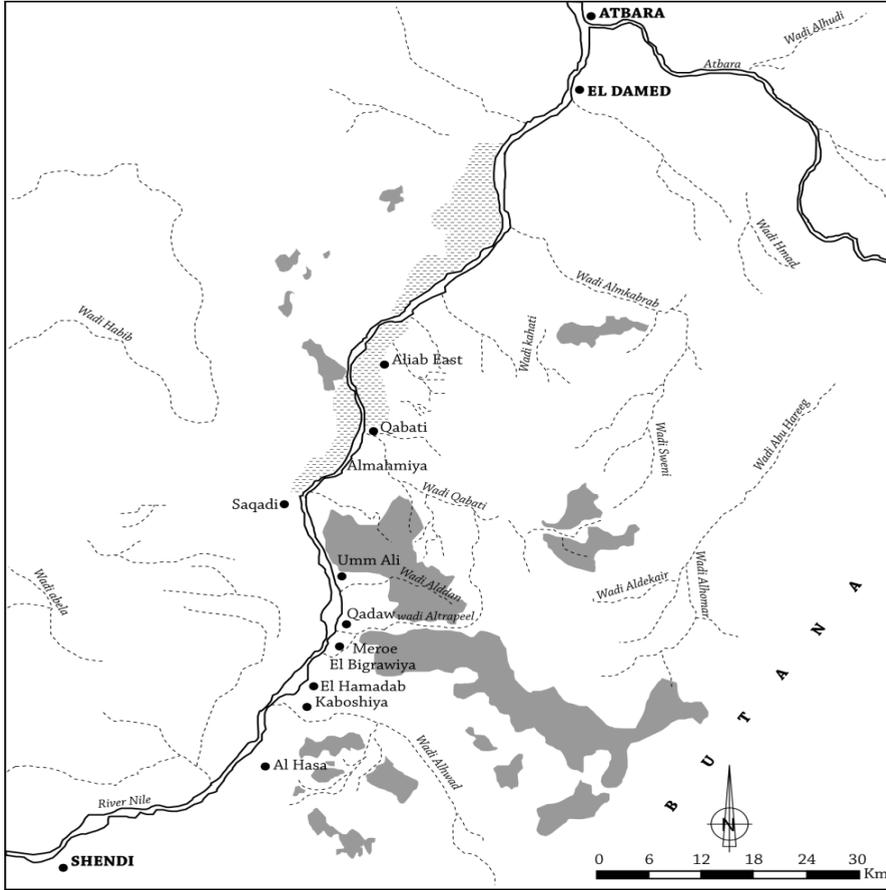
هذا التل التراي الذي بنيت عليه المدينة التاريخية يقع بين فرع من وادي الهواد جنوبها وبين الجزء الجنوبي من التل الحجري الذي يقع أسفل جبل أم علي، أي أن أجزائها المختلفة تغطي مسافة تقارب الخمسة عشر كيلو متر. ومن

أهم المعالم الطبيعية لهذه المنطقة وادي الطرايل ووادي الدان، وهما واديان جافان الآن إلا أنه ما زال ينمو فيهما شجيرات كثيفة.

تتكون المدينة التاريخية من الأجزاء التالية:

1. المدينة الملكية و صروحها من المعابد والحمام الملكي.
2. العمران المجاور للمدينة الملكية ويحتل معظمه الجزء الشمالي من المنطقة المجاورة لها من ناحية الشرق.
3. منطقة صناعة الحديد التي تحتل الجزء الجنوبي من المساحة التي تجاور المدينة الملكية من الشرق.
4. الأهرامات، مدافن الملوك والملكات وهي تغطي تلين جبليين على مسافة 4 كيلومترات شرق المدينة الملكية.
5. الأهرامات، مدافن الأمراء والوجهاء، ويجاورها معبد الأسد وحفير ماء كبير، وتقع كلها في المسافة ما بين المدينة الملكية ومدافن الملوك والملكات وإلى الجنوب قليلاً من محاذاتها.
6. تل ترابي ضخم، يقع إلى الشمال الغربي من المدينة الملكية على مسافة ثلاثة كيلو مترات تقريباً، لا نعرف كنهه حتى الآن حيث لم تجرى عليه أي إستكشافات أثرية بعد.
7. ثلاثة مستوطنات كبيرة من العصر الحجري الحديث المتأخر تم إكتشافها حديثاً، وبدأت فيها أعمال أثرية أولية دللت على أنها ربما تكون الأصول المحلية الأولى للمدينة التاريخية. وتقع كلها إلى الشمال من المدينة الملكية، أقربها إليها على بعد 4 كيلو مترات وأبعدها على بعد 6 كيلومترات.
8. موقع قدو بجوار محطة السكة حديد، وهو موقع كبير، ومعروف أنه مروي التاريخ، إلا أن طبيعته لم تُحدد بعد في إنتظار حفريات أثرية فيه.
9. محجر في جبل أم علي.
10. في التل الصخري ما بين موقع قدو وجبل أم علي تم حديثاً إكتشاف مقبرتين من عصر ما بعد مروي (350-500 م) تحوي كل واحدة منهما حوالي مائة قبر.

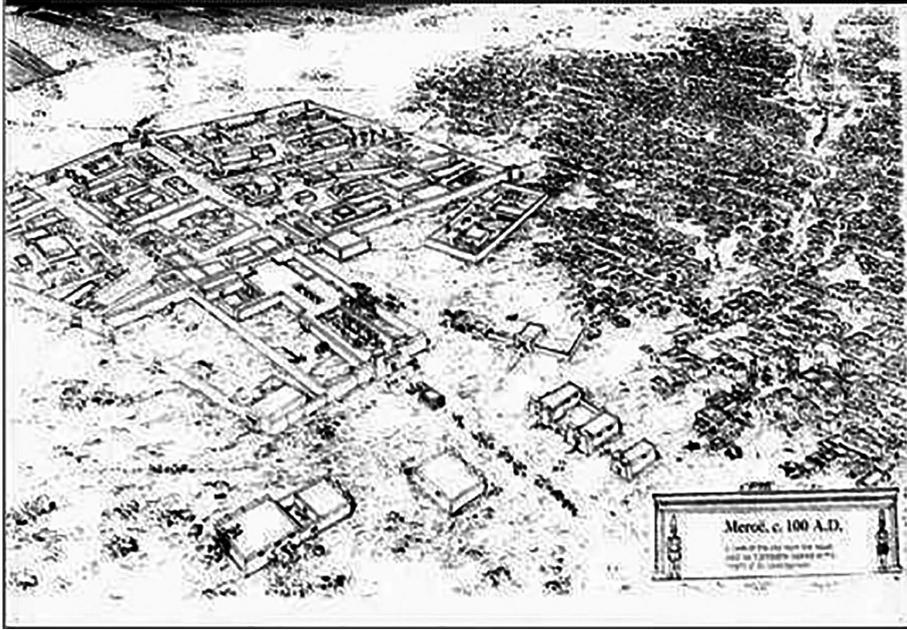
تحيط بمدينة مروى التاريخية سلسلة من التلال الجبلية متوسطة الارتفاع من الناحية الشمالية والناحية الشرقية والناحية الجنوبية، مكونة بطناً كبيراً يتسع في أوسع مناطقه، لحوالي 4 كيلومترات وما يزيد قليلاً. (الخريطة 3) ويبدو أن هذا الحزام الواقى من سلسلة التلال هو الذي شجع السكان الأوائل لهذه المنطقة على الإستقرار في هذا المكان وبناء المستوطنة الأولى، في الألف الثاني ق.م. وقد نمت تلك المستوطنة وتطورت إدارتها حتى أصبح لها مك قوي إستطاع ضم مستوطنة أخرى إلى الجنوب، على وادي الهواد ثم دخلوا بالوادي إلى البطانة الغنية، لتكوين مملكة مروى العظيمة، التي تطورت فيما بعد إلى إمبراطورية، حكمت شمالاً حتى الحدود المصرية وجنوباً حتى حدود المنطقة الإستوائية.



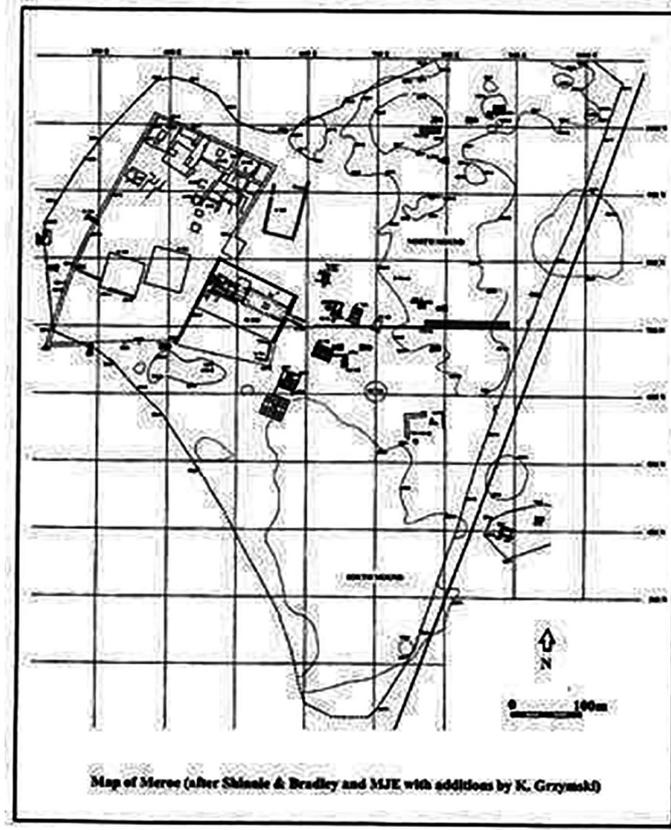
خريطة رقم (3) المدينة الملكية وسلسلة التلال المحيطة بها

1-2: المدينة الملكية وصروحها:

تبدو المدينة الملكية من الجو وكأنها مخططات عامة وسط غابة من الأشجار المتفرقة (شكل رقم 1). إلا أن المخطط التركيبي المصاحب، يظهر لنا عظمة المدينة وإمتداداتها والصروح التابعة لها في حوالي العام مائة بعد الميلاد (شكل رقم 1).



شكل رقم (1) مخطط تركيبي للمدينة الملكية (Shinnie and Anderson, 2004) يمكن دراسة المدينة في الخريطة الأثرية التي رسمت منذ بدايات القرن الماضي، وأجريت عليها بعض الإضافات والتعديلات بعد الحفريات التي تمت فيها في الربع الأخير من القرن الماضي، والحفريات الجارية الآن، عن طريق المشروع السوداني - الكندي المشترك بين قسم الآثار، جامعة الخرطوم ومتحف أونتاريو الملكي، بإدارة ب/علي عثمان محمد صالح ممثلاً لجامعة الخرطوم والدكتور كريزيستوف قريز يمكي ممثلاً لمتحف أونتاريو الملكي (شكل رقم 2).



- شكل رقم (2) مخطط للمدينة الملكية²، بعد (Shinnie & Bradley 1980)
وأجزاء المدينة الملكية هي:
1. معبد آمون الذي يقع إلى الشرق من المنطقة الملكية المسورة (الصورة 1-2)



صور رقم (1-2) معبد آمون بالمدينة الملكية

2. المنطقة الملكية المسورة، وتحوي بعض القصور والمعبد المسمى «معبد أغسطس» والحمام الملكي (الصورة 3-4).



صور رقم (3-4) معبد أغسطس والقصور الملكية

3. الممر المقدس أمام معبد آمون، ويحيط به على جانبيه الشمالي والجنوبي عدد من المعابد الصغيرة نسبياً.

4. مبنى من جزئين، إلى الجنوب الشرقي من معبد آمون، مشهور بمسمى «السجن».

5. بعض المباني التي تقع خارج المنطقة المسورة، وخارج حدود المعابد المتصلة بالممر المقدس، ولكنها تبدو كأنها جزء من مناطق الطقوس الملكية، مثل الموقع م 712 والموقع م621 (الصورة 5).



صورة رقم (5) الموقع المسمى م 621

1-3: الأهرامات: مدافن الملوك والملكات والأمراء والوجهاء (الصورة من 19-22).
توجد أهرامات ملوك وملكات مروى على تلين جبليين، شرق المدينة الملكية، وتسمى البجراوية جنوب والبجراوية شمال، وتسبق الأولى الثانية تاريخياً.
هذه الأهرامات، ويربو عددها على المائتين، بنيت على نسق أهرامات المملكة المصرية القديمة، ولكنها أصغر منها حجماً، وأكثر منها تنوعاً في أسلوب البناء الخارجي، كما أنها ليست مدافن كما مثيلاتها المصرية، بل هي شواهد قبور المدفونين فيها.

تم إعادة بناء الهرم مرة 19 من القاعدة إلى القمة، بالطريقة الهندسية التي بنيت بها هذه الأهرامات في الأصل، حيث ترك لنا الأولون رسومات هندسية على جدران بعضها، توضح هندسة بنائها. وقد مكن إعادة بناء هذا الهرم العلماء من معرفة أدق أسرار أجزائها المختلفة، وأسلوب الحفاظ على هندستها التي تبدو صعبة جداً، حتى على الهندسة المعمارية المعاصرة.

إشتهر أمر هرم الملكة أماني شيختو، التي حكمت في القرن الثالث قبل الميلاد، لأن طبيباً إيطالياً كان يعمل مع حكومة الحكم الثنائي، حفرة من القمة إلى

أسفل، ووجد في بطن تراب الحشوة، صندوقاً مليئاً بالمجوهرات الذهبية، وأخذها وباعها للأسرة الحاكمة في ألمانيا وإنجلترا. ذلك عام 1936م. وإختفى ذلك الكنز النادر في أوابير التاريخ، حتى تم توحيد ألمانيا نهاية القرن الماضي، وتم جمع الكنز المروي من مظانه المتعددة وأنشأ منه «معرض ذهب مروي» في ألمانيا أولاً ثم في متاحف عالمية أخرى.

المجموعة الثالثة من أهرامات مروي، هي أهرامات الأمراء والوجهاء. وتسمى «بالمقبرة الغربية». هذه الأهرامات أصغر حجماً من أهرامات الملوك والملكات، ولكنها لا تقل عنها هندسة وتنوعاً، ويقع بالقرب منها من الناحية الغربية الجنوبية «معبد الشمس» الذي ذكره الكتاب الكلاسيكيون بكثير من الإعجاب والإجلال. كما يقع بالقرب منها، وعلى جنوب شرق «معبد الشمس» حفير كبير. ويبدو أن المعبد والحفير متصلان بأهرامات الأمراء والوجهاء.



صورة رقم (6) مجموعة الأهرامات الشمالية بمروي

1-4: الضواحي الشمالية:

تبدأ الضواحي الشمالية للمدينة الملكية من الحدود الشمالية لقرية الدرقاب، والتي تم ترحيل معظم ساكنيها إلى منطقة جديدة، تم تخطيطها شرق خط السكة الحديد، في الشمال الشرقي من المدينة الملكية. هذه القرية تعتبر إمتداداً للمدينة الملكية، وبين منازلها توجد آثار لمعبد ومباني أخرى لم نكتشف كنهها لعدم إجراء إستكشافات آثارية عليها. كما أن قرية الكجيك، التي تقع جنوب غرب المدينة الملكية، بها آثار ظاهرة للعيان، وأخرى لم تكشف بعد، أكثرها من العهد المروي. لذا فإننا في سبيل الإقتراح للهيئة القومية للآثار والمتاحف ضم، قرية الدرقاب وقرية الكجيك للمدينة التاريخية، وإدخالهما ضمن الخريطة الأثرية. على أن تتحمل الحكومة الإتحادية مستلزمات ذلك، من تعويض الأهالي على ممتلكاتهم، وتكاليف السياح الجديد، وأي إلتزامات أخرى في هذا الشأن. التل أو الكوم الترابي الضخم، شمال غرب المدينة الملكية (صورة 8)، موقع يسيل له لعاب أي آثاري يعرف الأهمية التاريخية لهذه المنطقة، وبدء العمليات الأثرية الإستكشافية فيه فوراً ضرورة عاجلة.



خريطة رقم (4) المواقع الأثرية شمال المدينة الملكية

(الصورة 7-8) لموقع الصور من العصر الحجري الحديث المتأخر. وقد بدأ أعضاء فريق العمل لمشروع «آثار مروي الكبرى»، من قسم الآثار، جامعة الخرطوم، المسوحات الأثرية والحفريات الأولية في هذا الموقع وموقع الوازو المجاور (الصورة 8)، منذ عام 2003م.



صورة رقم (7) توضح موقع القويز



صورة رقم (8) توضح موقع الوازو

وتكشف النتائج الأولية للأعمال الأثرية على هذين الموقعين، أهميتهما في توريخ بدايات مملكة مروى، وفي فهم ثقافات العصر الحجري المتأخر في السودان وفي أفريقيا، خاصةً وأن الموقعين من مواقع الإستيطان، في حين أن معظم المواقع المعروفة من هذه الفترة، مواقع مدافن.

يود الفريق العامل في هذين الموقعين، تكثيف العمل، بزيادة عدد الآثاريين المتخصصين وزيادة العمال المهرة وغيرهم، إلا أن ميزانيات جامعة الخرطوم لا تتحمل أكثر من ما نعمل الآن. عشمنا في الحصول على أموال إضافية للعمل الأثاري في الموقعين، وفي المناطق المجاورة لهما، بإنشاء مشروع مشترك مع متحف مقتدر أو مع جامعة كبرى، تستطيع أن تمدنا بمعينات العمل الإضافي. مع الأهمية القصوى لموقع مدافن عصر ما بعد مروى، حيث أننا لا نعلم حتى الآن، كيف إنتهت أيام إمبراطورية مروى الزاهية، إلا أن العمل الأثاري لم يبدأ بعد في إستكشاف وحفريات هذا الموقع. إن وجود هذه المدافن ضمن أراضي مروى التاريخية، يجعل بدء العمل في هذا الموقع من أهم واجبات الدارسين الآثاريين، خاصةً وأننا نملك دلائل ثقافية وتاريخية من مواقع مشابهة في النوبة السفلى، موقع قسطل وبلانة، والنوبة الوسطى، موقع الزومة والنوبة العليا، موقع الهوبجي جنوب المئمة، ما يوضح أن فترة ما بعد مروى لم تكن كماً مهملاً كما صورها الباحثون الأوائل.

ولقد تمت حفريات جزئية في موقع مشابه من شمال هذه المنطقة، في وادي قباتي، على بعد حوالي 20 كيلومتر (3)، وكانت النتائج مشجعة جداً لإجراء بحوث تفصيلية على مثل هذه المدافن، في المناطق المجاورة لمنطقة مروى التاريخية.

2- الصيانة والترميم:

2-1 المدينة الملكية:

الصروح التي تحتاج الى صيانة وترميم في المدينة الملكية هي: معبد آمون، معبد أغسطس، القصور الملكية، الحمام الملكي، وسور المدينة.



صور رقم (9-10) توضح معبد آمون

كل هذه الصروح تقع ضمن رخصة البعثة المشتركة بين جامعة جامعة الخرطوم ومتحف أنتاريو الملكي، إلا الحمام الملكي، الذي يعمل فيه فريق من المعهد الألماني.

بدأت بعثة جامعة الخرطوم ومتحف أنتاريو الملكي، صيانة صروح المدينة الملكية التي تقع ضمن مسئوليتها، منذ عام 2000م، إلا أن ما أنجز من هذا العمل قليل جداً مما هو مطلوب، وما زال في المرحلة الإبتدائية، التي كانت مرحلة تنظيف الصروح مما تراكم عليها من أتربة مجلوبة أو تركته البعثات الأولى التي نقت فيها.

وقد نشرنا في تقريرنا الأول المنشور عام 2003م (4) تحت عنوان:

THE MEROE EXPEDITION

K. A. GRZYMSKI and ALI OSMAN M.SALIH

Directors

MEROE REPORTS

I

by K. A. Grzymski

SSEA PUBLICATIONS XVII

Benben Publications, Mississauga 2003

تفاصيل هذه المرحلة، مدعمة بالصور لما قبل وما بعد التنظيف. المرحلة الثانية، بعد مرحلة التنظيف، كانت ستكون مرحلة الترميم، وذلك بإعادة بناء ما تهدم من هذه المباني، ما دامت واضحة المعالم، وبقي ما تهدم منها، في الموقع.

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الصيانة والحفظ، ذلك بإنشاء آليات مناسبة للأجزاء المرمة، دون المساس بالمظهر العام، ودون إعاقة أعمال مستقبلية أو زيارة مهتمين أو سواح لهذه الصروح.

للأسف الشديد، فإن ميزانياتنا لا تسمح بتنفيذ المرحلة الثانية والثالثة أعلاه. حيث أن جانب البحث والتدريب، تستهلكها، ولا تترك لنا أي فائض للصرف على الصيانة والترميم.

أما الخطة المستقبلية للصيانة والترميم، التي إتفقت عليها بعثة جامعة الخرطوم ومتحف أونتراريو الملكي، بعد إكمال العمل في المدينة الملكية في المرحلتين الثانية والثالثة أعلاه، فهي إعادة النظر في إمتدادات المدينة الملكية، وضم قرية الدرقاب وقرية الكجيك إليها، وإعادة بناء السياج الواقي للمدينة بمواد أخرى غير السلك الشائك الحالي.

إن ميزانيات أعمال الصيانة والترميم، وإعادة بناء سياج واقية لحدود المدينة الملكية، فوق طاقة بعثة جامعة الخرطوم ومتحف أونتراريو الملكي، وفوق ما تخصصه الحكومة الاتحادية، وحكومة ولاية نهر النيل، للأعمال الأثرية والسياحية.

3. التأهيل للسياحة الثقافية:

3-1: المدينة التاريخية:

إن كل أجزاء المدينة التاريخية، والتي عدناها في بداية هذا المقال، مادة نادرة للسياحة الثقافية، حيث تقدم صورة متكاملة لما كانت عليه مملكة ثم إمبراطورية مروية القديمة، إحدى أهم حضارات الشرق الأوسط وأفريقيا. كما أن كل جزء منه يمكن أن يحقق رغبات السواح، كل بإهتمامه. لذا فإن تأهيل كل أجزاء المدينة التاريخية للسياحة الثقافية أمر هام وعاجل.

تحتاج السياحة الثقافية إلى:

المعلومات العلمية عن المجال الثقافي، في شكل مقروء أو مسموع أو مرئي. على أن تكون في شكل جذاب وأخاذ.

أن تكون التجربة السياحية تجربة كاملة، بمعنى، أهمية بروز العنصر البشري والعنصر البيئي والعنصر الثقافي الذي نتج عنه المجال السياحي المعني. ج. مما يحفز السائح الثقافي، الإشتراك الفعلي في الأعمال التي تنشأ من أو حول المجال الثقافي المعني، مثل الإشتراك في ورش العمل أو حلقات النقاش أو المعارض المختلفة وغيرها.

كل هذا يستدعي إنشاء متاحف المواقع، وقاعات، ومكتبات، ومسارح، في أمكنة قريبة من، أو حول، المواقع السياحية الكبرى.

كما يستدعي إنشاء لوازم الراحة البدنية والنفسية والصحية للسائح أياً كان. وكل هذا مطلوب حول مدينة مروية التاريخية تأهيلاً للسياحة الثقافية.

وبالله التوفيق.

ب/ علي عثمان محمد صالح

قسم الآثار جامعة الخرطوم

المصادر والمراجع:

- (1) Shinnie, P., and Anderson, J. (2004) The Capital of Kush 2. Meroe Excavations 1973-1984, in *Meroitica*. Schriften zur altsudanesischen Geschichte and Archäologie, No. 20. Harrassowitz, Wiesbaden.
- (2) Shinnie, P., and Bradley, J. (1980) The capital of Kush1, Meroe Excavations 1965-1972-, *Meroitica* 4, Akademie-verlage, Berlin.
- (3) Edwards, D. N. (1998) *Gabati. A Meroitic, Post-Meroitic and Medieval Cemetery in Central Sudan. Vol. 1*. London.
- (4) Grzymiski, K, and Osman, A. (2003) *Meroe Reports*1. Canada.